العلوم الجغرافية في الأحاديث النبوية الشريفة

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

◆ المقدمة:

إن من الدراسات المهمة التي تفتقر إليها البحوث العلمية، تلكم الدراسات التي تزاوج بين القضايا الكونية المعاصرة وبين الشريعة الإسلامية، وهي دراسات تتطلب الجمع بين تخصصات مختلفة، بالإضافة إلى الإلمام بمصادر التشريع الإسلامي، والقدرة على الربط بين النواحي العلمية والشرعية وفق منهجية محددة وضوابط عامة. وهذا النمط من الدراسات ذو أهمية بالغة في معالجة القضايا المعاصرة والتقعيد لها، استنادا لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية. وفي الوقت نفسه، فإن هذه الدراسات خير دليل لغير المسلمين على مرونة الشريعة الإسلامية، وملاءمتها لحل المشكلات المستعصية التي باتت تئن من ويلاتها المجتمعات البشرية المعاصرة.

وهذا البحث هو محاولة لدراسة موضوع من الموضوعات، التي لها صلة مباشرة بعلم الجغرافية ، وعلوم البيئة، ومن المعروف أن علم الجغرافية اصبح اليوم علما تطبيقيا يحاول ان يلبي حاجات الانسان ويوائم بينها وبين الحفاظ على النظام البيئي، واصبحت الجغرافية في القرن الحادي والعشرين الميلادي واحدة من العلوم التي تعتبر وسيلة مثلى لتحقيق التقدم الحضاري المنشود بشتى صوره (اقتصادياً، واجتماعياً، وبشرياً)، مع المحافظة في الوقت نفسه على الموارد

والثروات الطبيعية من الاستنزاف والتلوث، بحيث يظل كوكب الأرض قادرا على الوفاء بمعطيات التنمية وضمان ديمومتها للأجيال القادمة، انطلاقا من كون هذه الموارد ليست حكرا على جيل بعينه، بل هي ملكية عامة للبشر جميعا في كل زمان ومكان. كما أن التنمية المستدامة تمثل في الوقت نفسه إحدى القيم الحضارية المرتبطة بأخلاقيات التعامل مع البيئة، والتعامل الرشيد مع عناصرها ونظمها ومواردها.

١- جغرافية السكان في الاحاديث النبوية الشريفة:

ينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة سامية، حيث استخلفه الله سبحانه وتعالى في الأرض وكرمه على سائر المخلوقات وسخر له الكائنات وما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء: ٧٠ .

والإنسان فى نظر الإسلام نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى وقد كفل له الرزق وطلب منه العبادة، فقال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ❁ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ الذاريات: ٥٦ - ٥٧ .

ويعتبر الإسلام الإنسان هو مناط التنمية الشاملة كما أنه من أهم وسائلها، ولقد تضمنت الشريعة الإسلامية القواعد التي تحفظ له دينه ونفسه وعقله ونسله وماله، حتى ينطلق إلى المهمة التي خلقه الله لها مصداقاً لقوله تبارك تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ هود: ٦١، أي تعمير الأرض وملؤها بالخيرات والطيبات كما أمره الله بذلك.

لقد اهتم الإسلام بالعامل من حيث التربية والتعليم والتهيئة والإعداد للعمل ليكون منتجاً ومبتكراً ومبدعاً، وليكون عطاؤه أكثر من استهلاكه، ووضع الوسائل والسبل المختلفة لذلك منها على سبيل المثال:

(١) التكوين الإيماني: أن يؤمن العامل أن العمل فريضة دينية وواجب شرعي وشرف وعفة، وأن إتقانه وإحسانه للعمل من الإيمان، وأن يكون ولاؤه وخشيته لله الذي يراقبه وسيحاسبه عن ذلك يوم الحساب هو دافعه لإحسان العمل وإتقانه وليس احداً من الخلق، وفي هذا

الخصوص يقول الرسول ﷺ: "إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه" (رواه البيهقى).

(٢) غرس الأخلاق الفاضلة لدى العامل وتحليه بصفات الإخلاص والصدق والأمانة والتضحية والولاء والبذل وتحمل المسئولية، ويكون ذلك الدافع والحافز والباعث على العمل والإنتاج والإبداع .

(٣) الاهتمام بسلوكيات العامل من حيث التعاون والحب والأخوة وإتاحة الفرصة الحقيقية له فى المشاركة لاتخاذ القرارات.

(٤) حث العامل على العلم والبحث والاستنباط والابتكار من خلال نظم الحوافز المادية والمعنوية.

(٥) تزويد العامل بأساليب التقنية الحديثة لرفع إنتاجيته.

(٦) تحقيق الأمن والأمان للعامل، وإعطاؤه الأجر، الذى يكفيه مؤنة الحاجات الأصلية.

فإذا ما تحقق ما سبق سيكون الإنسان عاملاً منتجاً مساهماً في زيادة الإنتاج والناتج القومي، وكل مولود جديد سوف يساهم في صناعة المستقبل، وهذا يؤكد القول التربوي: نحو إنسان قادر على العمل والكسب الحلال الطيب، لقد حث الرسول ﷺ على الانجاب وزيادته بشروط تحفظ النسل وتحفظ العيش الكريم للمواليد الجدد ومن اقواله ﷺ: "تناكحوا، تناسلوا، تكاثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة" (رواه احمد)، "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم" (رواه احمد)، "يا معشر المهاجرين.. خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن: "لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن فى أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ أخذوا بالسنين.. وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة اموالهم إلاّ منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله ولا عهد رسوله إلا سلط عليهم عدواً من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم"، (رواه ابن ماجة والبزار والبيهقي).

لقد كانت احاديث الرسول ﷺ هذه، نبوءة اعجازية بارتباط التقدم الاقتصادي بالانجاب المنظم ولعل مشكلة كهولة السكان في الدول الاوربية حاليا دليل واضح على صحة وصدق هذه الاحاديث، لقد اكد علماء الأمة الإسلامية على أن الزيادة السكانية التي تتسم بالقيم

والأخلاق والإعداد والتدريب والتهيئة للعمل، نعمة وثروة من الله تبارك وتعالى، فعلى سبيل المثال يقول ابن خلدون: "إن الكثرة السكانية يترتب عليها زيادة في وسائل العيش والرفاهية، وتعتبر باعثاً لمتوسط دخل فردي مرتفع".

كما نادى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف وكذلك علماء الأمة الإسلامية بأنه لا يصح شرعاً وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأي وجه من الوجوه، وأن الإسلام يدعو إلى زيادة النسل لتحقيق التنمية والعزة للأمة الإسلامية اجتماعياً واقتصادياً وحربياً (من قرارات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٥٦م).

كما قال الشيخ محمد الغزالي :"في صراحة تامة إن الدعوة إلى تحديد النسل دعوة مريبة ومشبوهة، ويجب كشف القوى التي تعمل وراءها، وقد رأينا الغربيين يهتمون بتكثير النسل ويرصدون ألوف الجوائز لذلك، كما رأينا رؤساء الكنائس يوصون أتباعهم بتكثير النسل فهل المقصود تقليل المسلمين وحدهم"؟!.

كما قال الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد الغزالي: الإنسان هو المحرك الأساسي للنشاط الاقتصادي، وهو بالقطع، الكائن الحي المسئول عن مستوى الأداء، والإنسان "المظلوم" أي المقهور والمستغل، "ككل" لا يقدرُ حقيقته، على شيء لا يحقق التنمية، ومن ثم، إذا لم يُرفع هذا الظلم، ومهما كانت طبيعة الموارد المادية من حيث الوفرة والتنوع والجودة، لا يمكن أي شيء ذي قيمة أن يتحقق، ولا يمكن لأية قوة دافعة أو استراتيجية أي منهج أن تعمل بكفاءة مناسبة، سواء كانت هذه القوة هي "اليد الخفية" للحافز المادي أو "اليد المرئية" الباطشة للدولة وسواء كانت الاستراتيجية هي "الدفعة القوية" من الاستثمار أو "لجهد الأدنى الحساس" المطلوب التكوين الرأسمالي، أو غيرها.

❖ حالة الإنسان في الجاهلية قبل الإسلام:

كان العرب يقتلون الأولاد فى الجاهلية قبل الإسلام لأسباب أساسية منها ما يلي:

(أ) خشية العار: كان العرب قبل الإسلام يقتلون البنات خشية جلب العار والفضيحة لأهل هذه المولودة نظراً لتفشي جريمة الزنا وسوء الخلق يقول الله عز وجل: **﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ❁ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾** التكوير: ٨-٩، ولقد ورد في تفسير هذه الآية أن الموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية

البنات، ويوم القيامة تسأل عن أي ذنب قتلت وهي المقتولة فما ظن القاتل؟ فكان تهديداً لقاتلها.

(ب) **خشية الفقر الحاضر:** كان العرب قبل الإسلام يقتلون الأولاد ذكوراً وإناثاً بصفة عامة بسبب الفقر الحاضر وسوء المعيشة، فنهاهم الله تبارك وتعالى عن هذه الجريمة وأوضح لهم انه سبحانه كفل للجميع الرزق وأساس ذلك قوله عزوجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالحق ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام: ١٥١ .

(ج) **خشية الفقر المقبل:** كان العرب قبل الإسلام يحددون أو يمنعون النسل خشية الفقر المتوقع، وعدم الثقة فى الله سبحانه وتعالى أنه يرزقهم وكان ذلك من جانب الفقراء أما الأغنياء فكانوا بخلاف ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾ الإسراء: ٣١، فجاء الإسلام وحرم قتل الأولاد من منطلق إيمانى واقتصادي، وجعل حرمة دم المسلم أكبر من حرمة البيت الحرام وحث الرسول ﷺ على كثرة التناسل من منطلق اقتصادي حتى تكون الأمة قوية كثيرة العدد والعدة يقول ﷺ: "تناكحوا تناسلوا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة" (رواه أحمد).

◆ البيئة في أحاديث الرسول ﷺ:

على الرغم من أن كلمة «بيئة» لم يرد ذكرها في القرآن الكريم أو فى السنة النبوية المشرفة، إلا أننا إذا أخذنا مفهوم البيئة الذي يحددها بأنها "الأرض وما تضمه من مكونات غير حية ممثلة فى مظاهر سطح الأرض من جبال وهضاب وسهول ووديان، وصخور ومعادن وتربة وموارد مياه، ومكونات حية ممثلة فى النباتات والحيوانات برية النشأة، سواء كانت على اليابسة أو في الماء وما يحيط بالأرض من غلاف غازي يضم الكثير من العناصر الأساسية اللازمة لوجود الحياة على سطح الأرض".

نجد أن البيئة بهذا المفهوم "الأرض ومن عليها وما حولها" قد ورد ذكرها في القرآن الكريم فى (١٩٩) آية في سور مختلفة، ولقد خلق الله سبحانه وتعالى البيئة وأحكم صنعها بدقة بالغة من حيث الكم والنوع والخصائص والوظيفة، يقول

الحق تبارك وتعالى: **﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾** النمل: ٨٨ .

فكل شيء عنده بمقدار معلوم بحسب علمه سبحانه وتعالى، الذي يعلم وحده بأن كل عنصر من عناصر البيئة بهذا القدر وبهذه الصفات كما حددها الله سبحانه وتعالى يكفل لهذه العناصر أن تؤدي دورها المحدد والمرسوم لها من قبل الخالق القدير في المشاركة البناءة في مصفوفة إعالة الحياة في توافقية وانسجامية غاية في الدقة والتوازن مع بعضها البعض، يقول عز من قائل: **﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾** القمر: ٤٩، **﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾** الفرقان: ٢، **﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾** الرعد: ٨، **﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾** الحجر: ١٩، خلق الله البيئة وذللها سبحانه وتعالى وسخرها لخدمة الإنسان الذي استخلفه فيها يقول عز من قائل: **﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾** الملك: ١٥، **﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾** النحل: ١٤، **﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾** لقمان: ٢٠، **﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** الجاثية: ١٣، **﴿الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾** إبراهيم: ٣٢ - ٣٣ .

ويقول الرسول الكريم ﷺ: "إن الدنيا حلوة خضرة والله تعالى مستخلفكم فيها" (رواه مسلم والنسائي) والواقع أن قضية الاستخلاف قضية يجب ان نتوقف عندها قليلاً لأنها سوف تحدد دور الإنسان وواجباته تجاه بيئته. فالاستخلاف يعني أن الإنسان وصي على هذه البيئة لا مالك لها، إنه مستخلف على إدارتها واستثمارها وإعمارها أمين عليها، ويقتضي واجب الاستخلاف بطبيعة الحال أن يتبع المخلوق ما يأمر به مالك هذه البيئة وخالقها ومستخلفه فيها، ويقتضي واجب أمانة الاستخلاف أن يتصرف فيها تصرف الأمين فيما لديه من أمانات، فالأرض أرض الله، والعباد عباد الله ومعنى هذا انه ليس هناك ملكية مطلقة في الإسلام اي أنه ليس من حق اي فرد أن يتصرف

فيما يملك كيفما يشاء: فالملكية في الإسلام محددة بضوابط وشروط حددها الله سبحانه وتعالى، منها حسن استغلالها وصيانتها والمحافظة عليها من أي تدمير او تخريب وحتى نفسك لا تستطيع أن تتصرف فيها كيفما تشاء، فأنت آية من آيات الله ملتزم بالمحافظة على نفسك وحمايتها وعدم إلقائها في التهلكة يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** البقرة: ١٩٥ .

لقد ضمن الإسلام مجموعة من القواعد والمبادئ التي تكفل ضبط سلوكيات الإنسان في تعامله مع بيئته بما يصونها ويحافظ عليها، لينعم بخيري الدنيا والآخرة من هذه القواعد والمبادئ الإسلامية القويمة: سلوك الطريق الوسط او المعتدل في التكليف فهو دين الوسطية والاعتدال، لا إفراط ولا تفريط ولا إسراف ولا تقتير يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾** البقرة: ١٤٣، **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً﴾** الإسراء: ٢٩ .

ومن أحاديث الرسول الكريم ﷺ التي تحض على الاعتدال والاقتصاد ونبذ الإسراف "طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة" (رواه مسلم عن أبي هريرة) "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه" (رواه الترمذي) وكان الرسول ﷺ يغتسل بالصاع (الصاع أربعة أمداد) إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد (مقدار حفنة كبيرة) فمن زاد عن ذلك فقد أفاء وظلم (متفق عليه).

مثل هذه الأحاديث النبوية الشريفة دعوة صريحة للمسلمين إلى الاعتدال والاقتصاد وحسن استغلال موارد البيئة من ناحية، ونبذ الإسراف والاستخدام الجائر والتقتير من ناحية أخرى، ولما كان المفسرون يتفقون في أن العبرة في النص القرآني والحديث النبوي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن هذه الدعوة إلى الاعتدال ونبذ الاسراف تشمل كل سلوك إنساني فالحق تبارك وتعالى عندما يمنح الإنسان نعمة ويفضله على سائر مخلوقاته، إنما يريد منه المحافظة على ما وهبه الله من نعم لا تعد ولا تحصى فلا يبددها فيما لا ينفع بل يجب أن يلتزم جانب الاعتدال والاتزان في استخدامها وتجنب الإسراف، فالشريعة الإسلامية

جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط المعتدل لا إفراط ولا تفريط فحد الاعتدال وحد الاتزان هو حد الإسلام الذي يجب أن نلتزم به في كل سلوكياتنا البيئية وغيرها.

وليس ثمة شك أن دعوة الإسلام إلى الاعتدال ونبذ الإسراف منذ أربعة عشر قرنا بدأت تدركها مؤخرا المجتمعات غير الإسلامية في الشرق والغرب، حيث بدأوا ينادون بالاستخدام العاقل أو الراشد المعتدل ونبذ الاستخدام الجائر أو المفرط (الإسراف) بعد أن بدأ الإسراف في استخدام موارد البيئة يهدد البشرية بأخطار كثيرة، فمثلاً أدى الإسراف في قطع الأشجار والنباتات إلى بروز مخاطر كثيرة مثل جرف التربة - الفيضانات العنيفة - تدهور الدورة المائية ونظم المطر - انتشار التصحر - الاختلال في دورة الأكسجين - ثاني أكسيد الكربون وغيرها كما يؤدي الإسراف في استخدام المياه إلى مشاكل عديدة مثل تملح التربة وتغدقها - سرعة نضوب موارد المياه الجوفية - نقص موارد المياه وغيرها.

ومن أحاديث الرسول الكريم ﷺ التى تنهى عن الفساد والإفساد، دعوته الى المحافظة على الماء طاهراً نقياً وعدم إفساده بإلقاء النجاسة والمخلفات فيه، ليظل مصدر حياة وخير للبشرية: "لا يبولن أحدكم فى الماء الراكد ثم يغتسل فيه" (رواه البخاري) كما نهى أن يبال في الماء الجاري" (رواه الطبراني بإسناد حسن) فالتبول في الماء الراكد يجعله بيئة خصبة لتكاثر الميكروبات والفيروسات التي تساعد على انتشار الأمراض المعدية، كما أن التبول في الماء الجاري سوف يؤدي إلى إلحاق الضرر بالآخرين حيث تصلهم المياه ملوثة وهو سلوك يتنافى مع حرص الإسلام، على ألا تضر نفسك ولا تضر الآخرين انطلاقاً من القاعدة الفقهية "لا ضرر ولا ضرار".

وفي حديث آخر يقول الحبيب المصطفى ﷺ: "اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الماء، وفي الظل وفي طريق الناس" (رواه ابو داود) فهل نحن ملتزمون بتعاليم الإسلام كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ في عدم إفساد موارد البيئة.

للأسف نحن نرتكب مخالفات شرعية كثيرة عندما نسمح لأنفسنا بضخ مياه المجاري الصحية غير المعالجة، وهي مليئة بالمواد الكيماوية والعضوية والميكروبات الضارة إلى البحار والأنهار والبحيرات،

كما نرتكب نفس المخالفة عندما نسمح بضخ مخلفات المصانع أيضا فى البحار والأنهار، متجاهلين ضررها البالغ على الأحياء المائية وأهمية مياه هذه الانهار للاستخدام الزراعي والاستخدامات المنزلية، سلوكيات غير إسلامية، غير بيئية نرتكبها ونحن فى غفلة من أمر ديننا.

إنها دعوة للحياة الآمنة المستمرة، وفي الوقت الذي اهتم فيه الإسلام بالنباتات فقد اهتم أيضاً بالحيوانات، فإذا كان صيد الحيوانات برية كانت أو مائية حلالاً طيباً شرعاً فقد نهى الإسلام عنه طالما كان لغير منفعة، أو كان فيه إسراف يهدد وجود هذه الحيوانات التي لم تخلق عبثاً، وإنما لكل منها دور مهم فى مصفوفة الحياة لا غنى عنه فقد روى النسائي وابن حبان أن النبي ﷺ قال: «من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة».

ولنا عبرة في قصة الرجل الذي دخل الجنة لأنه سقى كلباً كان يلهث من شدة العطش، وقصة المرأة التى أدخلت النار لأنها حبست هرة ولم تطعمها أو تتركها تأكل من خشاش الأرض.

هذه هي سلوكيات الإسلام تجاه البيئة الحيوية، سلوكيات تسعى للمحافظة على هذه البيئة وصيانتها، فهل نتأسى بهذه السلوكيات الإسلامية ونغرس في الجيل الحالي والأجيال القادمة الوعي البيئ الإسلامي، بأهمية استزراع النباتات وحماية الحيوانات والمحافظة عليها.

ومما يجدر ذكره أن حسن استخدام الطريق ومنع الأذى والضرر عنه، قد كفله الاسلام وشدد عليه ورغب فيه انطلاقاً من أحاديث الرسول الكريم ﷺ: "إماطة الأذى عن الطريق صدقة" (متفق عليه) (من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم) (رواه الطبراني بإسناد حسن) (الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق) (متفق عليه) (من أماط أذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة) (رواه البخاري والطبراني) (إن المؤمن ليؤجر فى إماطة الأذى عن الطريق) (رواه الترمذي).

ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة يتضح لنا أن إماطة الأذى بكل أشكاله المادية والمعنوية عن الطريق، عبادة مأجور عليها فالأذى هنا يشمل كل ما يضر بالطريق ويشوه جماله ونظافته، او يتسبب في وقوع حوادث الطرق أو الارباك المروري أو غيرها من الأضرار التي تلحق بالطريق ومستخدميه، فمثلاً إلقاء

الزجاجات الفارغة والمخلفات من أوراق وغيرها في الطريق، يعتبر نوعاً من الأذى وإشغال أرصفة الطرقات، وهي المخصصة للمشاة بما يحول دون استخدامها فيه أذى وضرر، لأن هذا الأمر قد يجبر المشاة ان يسيروا في عرض الطريق مما يعرضهم للحوادث.

كما أن عدم الالتزام بتعاليم وقواعد المرور مما يتسبب في وقوع حوادث مرورية يتأثر بها أناس أبرياء، يعتبر أذى فالسائق الذي يسير بسرعة جنونية غير عابئ بما تحدثه هذه السرعة من وقوع حوادث، كثيرا ما تكون مميتة، يرتكب مخالفة قانونية وشرعية في حق نفسه وحق الآخرين، فالسرعة الجنونية دعوة للتهلكة والله ينهانا عن إلقاء أنفسنا في التهلكة.

❖ جغرافية المناخ في الاحاديث النبوية:

لقد كانت الاحاديث النبوية بمثابة المدرسة العلمية التي رفدت الانسانية بكثير من الحقائق السابقة لعهدها الاف السنين فيما يخص المناخ قال الرسول الكريم ﷺ حول سقوط الامطار: (ما من عام باقلّ مطراً من عام ولكن الله يصرّفه) رواه البيهقي، هذا الحديث يدل على وجود نظام ما لنزول المطر وتصريف الماء على وجه الأرض، وهذا ما يتحدث عنه العلماء اليوم.

أوجه الإعجاز في هذا الحديث الشريف: لقد حدد هذا الحديث الفترة التي يتم خلالها حساب نسبة الأمطار على سطح الكرة الأرضية، تختلف من شهر لآخر ومن فصل لآخر حسب درجة الحرارة وحالة الطقس، ولكن إذا حسبنا كمية الأمطار الهاطلة خلال (١٢ شهراً) نجدها ثابتة، وهذا الأمر لم يكن أحد يعلمه في ذلك العصر، بل كان جميع الناس يظنون أن نسبة الأمطار تختلف من سنة لأخرى، ولكن الرسول الكريم ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وضع القوانين العلمية للمطر قبل أن يكتشفها العلم الحديث بقرون طويلة! ونتساءل عن القسم الثاني من الحديث في قوله ﷺ: (ولكن الله يصرّفه)، هذا تأكيد من رسول الله ﷺ على أن الماء يتوزع بشكل منتظم على سطح الكرة الأرضية.

فكلمة (التصريف) تعني التوزيع لهذه الأمطار وفق مخطط دقيق، وهذا ما أثبته العلم الحديث وهو أن المياه تتوزع بنسب دقيقة في مختلف أجزاء الكرة الأرضية، وهذه النسب أيضاً شبه ثابتة على مدار العام، ولو أنها اختلّت قليلاً لاختلّت معها الحياة على سطح الكوكب، إن الحديث الشريف عندما يؤكد على أن كمية الأمطار المتساقطة هي ذاتها كل عام، لا يعني أن

هذه الكمية لن تتغير إلى يوم القيامة! لأن النبي ﷺ يتحدث عن حقيقة كونية.

◆ جغرافية البحار والمحيطات في الاحاديث النبوية الشريفة:

لقد تنبأ الرسول ﷺ بما عجز العلم عن الاتيان به طيلة القرون الماضية، ولم يفلح بالتعرف عليه الا بعد قرون طويلة من الجهل فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله، فإن تحت البحر ناراً و تحت النار بحراً"، أخرجه أبو داود في سننه.

وضعّف بعضهم إسناده و احتجوا بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُم صَيدُ البَحرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُم وللسَّيَّارَةِ وحُرِّمَ عَلَيكُم صَيدُ البَرِ مَا دُمتُم حُرُماً واتَّقُوا اللهَ الذَّي إِلَيهِ تُحشَرُونَ﴾ المائدة: ٩٦، وهو مع ضعفه صحيح في معناه، فقد أثبت العلم الحديث صحة ما أخبر عنه النبي ﷺ، فقد اثبتت اجهزة التصوير العلمية لأعماق البحار ان تحت قيعان البحر العميق نار ملتهبة، تحت طبقة القشرة الارضية حيث ينتشر الصهير في طبقة الوشاح، والذي يخرج بين الفينة والاخرى على هيئة براكين جبارة، يؤدي ثورانها الى انبعاث الحمم البركانية لأميال عديدة خاصة في حواف المحيط الهادي والذي اخذ يعرف بحلقة النار.

◆ الاحاديث النبوية في مجال دوران الارض:

في حديث الدجال الذي رواه النواس ابن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال.. قلنا يا رسول الله: وما لبثه في الأرض؟ قال ﷺ: «اربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال ﷺ: لا، اقدروا له».

من الأمور العجيبة أن يأتي العلم التجريبي في أواخر القرن العشرين ليؤكد انه قبل تغيير اتجاه دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ستحدث فترة اضطراب نتيجة لتباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها، وفي فترة الاضطراب تلك ستطول الأيام بشكل كبير ثم تقصر وتنتظم بعد ذلك.

◆ الاحاديث النبوية في مجال جغرافية المياه:

في مجال المحافظة على المصادر المائية، نهى النبي ﷺ عن التبول في الماء الراكد حفاظا على سلامة الماء من التلوث؛ حيث إن الماء النجس لا يستفاد منه في طهارة أو شرب أو غير ذلك. ومثل البول

تلويث الماء بأي ملوث (من المخلفات الصناعية أو المواد الكيماوية مثلا)، فعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه (نهى أن يُبال في الماء الراكد). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه)، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل).

ولا يخفى وجه النهي في ذلك؛ حيث إن مثل هذه التصرفات تحرم الآخرين من الاستفادة من كميات كبيرة من الماء، كما أن ممارسة هذه السلوكيات (أي: التبول والتبرز في الموارد) تتسبب في إفساد تلك الموارد، فالتبول أو التبرز في الماء الراكد يجعله بيئة خصبة لتكاثر الميكروبات والفيروسات التي تساعد على انتشار الأمراض المعدية، ونحن نعلم حالياً أن هناك أمراضاً كثيرة تنتج من الاستحمام في الماء الراكد الذي سبق أن تبول فيه شخص ما، من ذلك: البلهارسيا البولية، والكوليرا، والسيلان، ومرض ريترز.

كما أن الماء الراكد يعد وسطاً ملائماً لنمو الكثير من البكتيريا (مثل: السالمونيلا، والشيجلا، والليبتوسايرا، وغيرها)، ويحتاج كثير من الديدان والطفيليات (مثل: الزحار الأميبي، والديدان المستديرة، والبلهارسيا) إلى إكمال دورة الحياة خارج جسم الإنسان، ويساعد التبول والتبرز على نمو هذه الديدان وسرعة تكاثرها وانتشارها.

ومما يؤسف له أن بعض مرافق الخدمات البلدية تقوم بتصريف مياه المجاري الصحية دون معالجة إلى البحار والأنهار والبحيرات. ومما يزيد من حجم الأذى الناتج عن هذا السلوك أن هذه المياه لا تحتوي على البراز فقط، بل تحتوي أيضا على كميات كبيرة من المواد الكيميائية والعضوية والجراثيم الضارة.

وتمارس الشركات الصناعية سلوكا يضر بالبيئة والبشر والأحياء المائية، عندما تقوم بضخ مخلفاتها من المياه العادمة الناتجة من الصناعات المختلفة في المسطحات المائية، متجاهلة أخطارها.

(٣) في مجال المحافظة على المصادر المائية من الهدر؛ لنا في رسول الله ﷺ خير قدوة يحتذى بها في هذا المجال، فعن ابن جبر قال: سمعت أنسا يقول: (كان النبي ﷺ يغسل - أو كان يغتسل - بالصاع إلى خمسة أمداد، ويتوضأ بالمدّ).

فهذا الحديث يدل على كراهة

الإســـراف في الماء للغـــسل والوضـــوء، واستحباب الاقتصاد، وقد علّم الرسول ﷺ أتباعه هذا اللون من الاقتصاد في استخدام الماء، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: كيف الطهور؟ فدعا بماء في إناء، فغسل كفيه ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً، ثم مسح برأسه، فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه، ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه، وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: (هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا أو نقص، فقد أساء وظلم)، أو (ظلم وأساء).

ومن خلال الفهم الواعي لمقاصد الأحاديث النبوية التي تتعلق باستخدام الماء أجمع علماء الفقه على ضرورة الاقتصاد في الماء، وعدم الإسراف في استهلاكه، ولو كان المرء على شاطئ النهر، وقال بعض أصحاب الشافعي: إن هذا الإسراف حرام، وقال بعضهم: إنه مكروه كراهة تنزيه.

◆ الخاتمة:

من استقراء السنة النبوية يجد الباحث أنها وضعت قواعد وقيما عظمى في العلوم الجغرافية وحماية البيئة، وأنها حثت على العمل وتحقيق التنمية المتكاملة بمختلف صورها من خلال الاستفادة من العلوم الجغرافية، وعملت على حماية المخلوقات التي تعيش على الأرض والإحسان إليها، بما في ذلك حماية الإنسان من شرور نفسه ومن ظلم أخيه الإنسان، مع الاستفادة مما في الأرض من موارد ومقدرات وفق ضوابط خاصة من غير إفراط ولا تفريط. ولم تقتصر السنة النبوية في هذا المجال على تحديد أساليب الثواب للمحسنين للبيئة والعقاب للمسيئين لها، بل تعدّت ذلك إلى جعل أخلاقيات التعامل مع البيئة سلوكا حميدا يجب أن يلتزم به المسلم ويراقب في أدائه ربه.

